شوف تشوف

رشيد نيني
r_niny@yahoo.fr

فوسخو روسكم !

أوردت كل وسائل الإعلام خبر الندوة الصحافية التي أعطاها جاك سترو وزير الخارجية البريطاني في قصر الجامعي بفاس. لكن ما لم تورده أية جريدة هو أنه قبل أن يدخل السي بنعيسى والسي جاك سترو لقاعة الندوة سبقتهما امرأة حاملة مبيخرة في يدها وبخرت القاعة حتى آخر مقعد فيها. وقد تساءل الصحافيون الذي شاهدوا المنظر عن السر وراء تبخير ندوة وزير الخارجية البريطاني في هذه العواشر، واش عينها في بنعيسى أم عينها في جاك تسرو. والمرجح في نظري أن صاحبة المبيخرة كانت عينها فجاك سترو، فهو يحمل جنسية بريطانية ولديه شغل محترم في بلده ويمارس تاويزاريت بالصح، وليس مثل بنعيسى الذي يكتفي باستقبال ضيوف المغرب بينما كل أسبوع نقرأ في الصحف عن دولة جديدة من دول العالم تعترف بالبوليساريو. وربما قد تكون صاحبة المبيخرة مجرد فاعلة خير وصلات الخبز للفران، فالمخابرات المغربية تستعمل في عملها كل شيء، من الميكروفونات السرية إلى العود القماري والجاوي. وكم من معارض شرس كنت إلى حدود الأمس تستطيع أن تقنع يهوديا بدخول المسجد ولا تستطيع إقناع هذا الأخير بالتعامل مع النظام، أصبح اليوم حملا وديعا تعلم كيف يتكلم لغة الخشب، لغة البلاد الرسمية، أحسن من كل وزراء إدريس جطو !

أغلب القاعات التي تجري فيها اجتماعات رجال السياسة المغاربة تسبقهم إليها مبيخرات سرية. البرلمان نفسه لا يفتتح دورته الخريفية إلا بعد أن تمر المبيخرة أولا. ولذلك تلاحظون أن أغلب النواب البرلمانيين بمجرد ما يدخلون يصبحون مضبوعين، بعضهم يصاب بمرض النوم والبعض الآخر يصاب بالطجاجات فيهجر البرلمان ولا يعود إليه كما لو أنه يرى فيه قباض روحو، والقلة القليلة التي تحضر تصوت ضد مصلحة الشعب، كما حدث مع قانون المالية لهذه السنة المليء بالضرائب والزيادات في الأثمان !

أحيانا يبدو لي أن الشعب المغربي كله واقع تحت تأثير تبخيرة قديمة، لذلك أصبح بنادم مضبوع غي بوحدو. تستطيع أن تسرق جيوبه وهو صامت، تستطيع أن تستغفله في التلفزيون وهو يبتسم، تستطيع أن تبهدله بالضرائب وهو ينفجر من الضحك. حتى أنه أصبحت لدي قناعة بأن الحل الوحيد المتبقي أمامنا للخروج من حالة التضباع التي نعيشها هي أن نلجأ إلى التفوسيخ. ولهذه الغاية يجب على الحكومة أن تفكر في إحداث وزارة الفاسوخ يكون برنامجها الوحيد هو إبطال هذا السحر الذي تخطيناه ذات يوم في لحظة سهو. والبداية يجب أن تكون من البرلمان، فعوض تبخيره قبل كل دورة خريفية يجب أن يسهر وزير الفاسوخ على رش السادة النواب بالماء الذي سيبطل مفعول السحر الذي يقعون تحت تأثيره.

بانتظار أن تتحقق هذه الأمنية، سيكتفي المغاربة بتلك المريشات التي تخرجها مضيفات طيران الخطوط الجوية الفرنسية عندما يجلس جميع الركاب المغاربة فوق مقاعدهم. فيبدو أن الخطوط الجوية الفرنسية بدأت تخلط المسافرين المغاربة بالحشرات وصارت كلما ترشهم بالمبيدات قبل إقلاع الطائرة. طبعا لم تقرؤوا هذا في أي مكان، لكن هذا ما حدث بالضبط خلال الرحلة الجوية التي انطلقت على الساعة الواحدة بعد الزوال من مطار مراكش نحو باريس يوم 23 من الشهر الماضي. وقد استغرب الركاب من المضيفات الفرنسيات اللواتي لبسن قفازات من البلاستيك و أخرجن شي قريعات وبدأن في رش رؤوس الركاب كما لو كانوا مجرد ناموس، وعندما انتهين من رش الناموس بدأن في رش حقائب الناموس. وعندما فقدت إحدى المسافرات أعصابها وقالت للمضيفة إنها ستتسبب لها في الحساسية بماذا أجابتها المسمومة ديال الفرانساوية ؟ قالت لها أن هذا المبيد مزيان لأنه يقتل البكتيريا. هي دابا حنا المغاربة ولينا عند الخطوط الجوية الفرنسية غير ميكروبات والسلام !

وقد ذكرني هذا المنظر بما كان يحكيه بعض سكان الدار البيضاء القدامى عندما كان المعمرون الفرنسيون يخصصون للمغاربة يوما واحدا في الأسبوع للدخول إلى السينما، وعندما ينتهي الفيلم ويخرجون تقفل السينما أبوابها طيلة اليوم الموالي لكي يتم رش المقاعد والممرات بمبيد حشري يقتل البكتريا، ربما يكون هو نفسه الذي ترشه مضيفات الطيران الفرنسي فوق رؤوس المسافرين المغاربة الذاهبين إلى فرنسا.

مرت خمسون سنة على خروج الاستعمار الفرنسي من المغرب، ومع ذلك مازال بعضهم يحن إلى أيام الاستعمار. هل تتخيلون معنى أن يتم رش المسافرين المغاربة بمبيد مضاد للبكتيريا في طائرة فرنسية، هل تتصورون أن فرنسيا سيقبل أن ترشه مضيفة مغربية على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الملكية بمبيد حشري دون أن يقلب الطائرة رأسا على عقب ويطالب الإدارة بتعويض. الذي حدث أنه لا أحد من ركاب الطائرة المغاربة، غير الراكبتين اللتين احتجتا، حرك ساكنا. كلهم تقبلوا الرشة بصدر رحب كما لو أن المضيفات كن برششنهم بما زهر !

ها حنا باقين كانهضرو عليه، بنادم ترشو حتى بالكيماوي وما يتحرك فيه حتى شي عرق. ماشي واكلين مخ الضبع هادو. الله ينعل بوها هاد الطيارة اللي غادي يرشوني فيها بحال الدبان.

وتحكي لي إحدى المواطنات المغربيات متزوجة من مصري وتعيش في القاهرة، أنها في آخر مرة أخذت الطائرة من الدار البيضاء ركبت خلفها فتاة مغربية وبجانبها عجوز خليجي. وبمجرد ما أقلعت الطائرة بدأ الحولي في التهباص والتفنكيش في الفتاة المغربية، بينما هي تكهكه بأعلى صوتها. فلم تتحمل المواطنة المغربية المقيمة بالقاهرة المنظر وطلبت من الفتاة أن تحترم على الأقل أبناء بلدها وأن لا تهينهم بهذه الطريقة الشامتة، وكون غير كانت مع شي واحد يحمر الوجه ما يسالش، الراجل بقات فيه غير عضة بحال الكبالا وزايدها بالبوسان، ماعندوش حتى الفم مقاد باش يبوس !

لكن الفتاة وعجوزها عاد مازادو فيه، وأمام صمت الرجال المغاربة الذين كانوا يسمعون صوت البوسان والتكهكيه يمزق سكون الطائرة، قامت المواطنة المغربية المقيمة بالقاهرة وأسمعتهم غير من المنقي :

- ماحشمتوش يا رجالة الكارطون، حتى واحد فيكم ما فيه النفس ينوض ويحدهم لهاد الشرموطة وهادا بوخنونة اللي معاها. نتوما رجال نتوما، بقا ليكم غير تنوضو تضربو ليه الرش حتى نتوما باش يبقى على راحتو. إيوا الله يعطيكم الدل كثر من هاداك اللي نازل عليكم !

الحقيقة أنني لم أقل شيئا بعد كل ما سمعته، وحاولت أن أغير الموضوع وسألتها عن أحوال الجالية المغربية في مصر، فانتفخت غاضبة وأخبرتني أن القنصلية المغربية بالقاهرة تتعامل مع الجالية المغربية بحال الدبان، وتخصص لهم يوما واحدا فقط في الأسبوع لقضاء أغراضهم الإدارية. فسألتها ماذا تصنع مع كل هذه البيروقراطية فقالت لي :

- شديت الجنسية المصرية وتهنيت من القنصلية ديال المغرب. ومنها نيت ملي يسولوني واش مغربية كانكر. اللهم مصرية أخويا ولا مغربية، شي وحدات فيهم رجعو السمعة ديال المغرب زي الزفت !